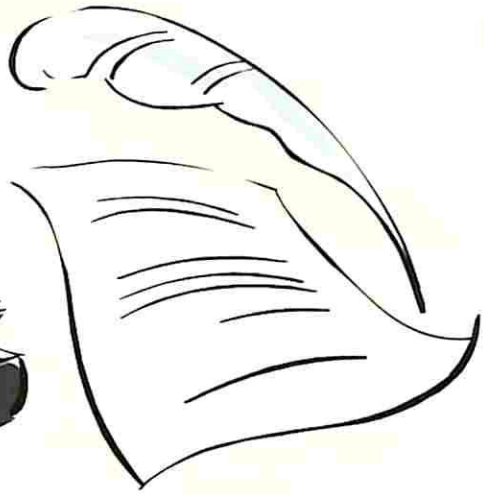

آراء نقدية في الموقف من المذاهب الأدبية الغربية

استطلعت مجلة (الأدب الإسلامي) آراء عدد من كبار النقاد حول موقف الأدب الإسلامي من المذاهب الأدبية الغربية، وكيفية التعامل معها.

وقد عبر د. عماد الدين خليل الناقد المعروف وأستاذ التاريخ بجامعة الموصل في العراق عن رأيه فقال:

إن الخصوصية الإسلامية التي هي وليدة الزمان والمكان، والتي ينسجها لقاء العقيدة بالإنسان في هذه البيئة (المحلية) أو تلك، لا تتعارض مطلقاً مع التوجه (العالمي) أو الإنساني، خارج قيود الزمان والمكان والبيئة والتاريخ. لأن الإسلام -في الوقت نفسه- توجه أبدي صوب الإنسان في كل زمان ومكان، ولأن من أهدافه أن يصنع عالماً سعيداً لبني آدم جميعاً، وأن يعينهم على تجاوز متاعبهم وآلامهم، وإزالة الجدران والمتاريس التي تقف في دروبهم صوب أهدافهم المشروعة.

والإسلام، برؤيته الكونية، واستشرافه بعيد الآفاق، ونزوعه الشمولي، وتوازن الثنائيات في نسيجه: بين ما هو منظور وغيبي، وطبيعي وميتافيزيقي، ومادي وروحي، وثابت ومتغير، ومحدود ومطلق، وفانٍ وخالد.. الإسلام بهذا كله أقدر -إذا تهيأت له الأدوات الفنية المتمرسة والخبرة العميقة- على إبداع أدب عالمي يهمّ الإنسان في إطار المعمورة، ويمكن أن يفرض ترجمته إلى كل لغة حية.

ولكن -وكما تقول القاعدة النقدية المعروفة- إن العمل الأدبي الكبير، لا يحقق عالميته وانتشاره إلا من خلال أصالته وخصوصيته، أي من خلال تحركه من الخاص المحدّد إلى العام المفتوح، كي لا يغدو عملاً تجريدياً، وكي يكسب ملامحه وتكوينه الحيوي، ونسيجه ذا اللحم والدم والملامح المتفردة.

ويقينا فإن «الإسلامية» هي غير «الكلاسيكية» أو «الرومانسية» أو «الكلاسيكية الجديدة» أو «الواقعية» أو «الطبيعية» أو «الواقعية الاشتراكية» أو «الرمزية» أو «السريالية» أو « الطليعية» أو «المستقبلية»..إلخ.

د . عماد الدين خليل

■ **إذا أريد للأدب الإسلامي أن يزداد نموا ونضجا واكتمالا، وأن يزداد تأصلا في الوقت نفسه، فعليه أن ينفتح ما وسعه الجهد، وأن يتابع المعطيات الأدبية في العالم كله.**

إنه مذهب متميز، قد يلتقي مع هذا المذهب أو ذاك لقاء جزئيا، ولكنه يبقى مذهبا أدبيا إسلاميا مستقلا، لأنه في الأصول والكليات لا يمكن بحال أن يلتقي مع أي من المذاهب الأخرى، إنه إذا حدث أن تم لقاء ما في «الشكل» فإنه يندر على مستوى «المضمون» و «المذهب» عموما.

إن نقاط الخلاف أكبر بكثير وأعمق بكثير من نقاط اللقاء، فها هنا ينبثق المذهب الإسلامي في الأدب عن رؤية تصدر عن الله سبحانه، الذي أنعم على البشرية بالدين القيم، الإسلام، وهناك تنبق المذاهب الأدبية عن رؤى بشرية وضعية قاصرة، تتضمن الكثير من المناقص، والأخطاء، والثغرات، والأحكام النسبية، والاختلال، والتطرف، والشذوذ.

وإذا كان هذا الأمر لا يتضح على مستوى الشكل بحكم حياديته في كثير من الأحيان، فإنه يبدو بالوضوح الكامل على مستوى المضمون، وما دام المضمون يتلبس «المذهب» ويدخل في صميم نسيجه، فإن التباعد بين «الإسلامية» والمذاهب الأخرى يصبح أمرا محتوما إلا في حالات عرضية لا تصلح أن تكون قاعدة يقاس عليها. وتزداد الهوة اتساعا في المذاهب الأكثر حداثة وبخاصة البنيوية وما بعد البنيوية والتفكيكية، إذ تمارس الرؤية الفكرية في بنيانها ومعطياتها دورا كبيرا.

وعند إلقاء نظرة سريعة عند أي عمل أدبي واقعي، أو طبيعي، أو واقعي اشتراكي، أو سريالي، أو طليعي، أو حداثي، فإننا سنجد أنفسنا إزاء تيارات تتدفق في معظمها باتجاه مناقض لمجرى القيم والرؤية والتصور الذي ينبثق عن الإسلام، وهذا يؤكد ضرورة أن يكون للإسلاميين مذهبهم الأدبي المتميز، وألا يلتفتوا ذات اليمين وذات الشمال طالبين المعونة من هذا المذهب أو ذاك، إلا بقدر ما يمكنهم ذلك من أدواتهم الفنية، ويزيدهم قدرة على (التعبير الجمالي المؤثر) للتصور المتفرد الذي يحملونه، أو التجربة الخصوصية التي يعيشونها أفرادا وجماعات.

إن رفض تسمية «الإسلامية»، أو إلحاقها بأي من المذاهب الأدبية المعروفة، لا يعني البتة الانغلاق والتشنج وعدم الانفتاح على معطيات الآخرين شرقية كانت أم غربية، ولا بدّ- إذا أريد للأدب الإسلامي أن يزداد نموا ونضجا واكتمالا، وأن يزداد تأصلا في الوقت نفسه- أن ينفتح ما وسعه الجهد، وأن يتابع المعطيات الأدبية في العالم كله، يوما بيوم وساعة بساعة، وأن يأخذ ما وسعه الجهد على مستوى (التقنية)، بل حتى على مستوى المضامين، على ألا يدخل في مجراه النقي، المتفرد، العميق، أي جسد غريب قد ينقل إليه عدوى هذا الوباء أو ذاك، مما يكتسح فكر الغرب ورؤاه وتصوراته.

وقال د. حسن الهويمل أستاذ الأدب الحديث بجامعة القصيم وأحد أبرز النقاد في المملكة العربية السعودية، موضحا سبب الموقف السلبي لبعض النقاد من الأدب الإسلامي:

المنتج الإنساني نص رديف مثلما أن التفسير نص رديف للنص القرآني. وكل عمل ينتجه الإنسان لا يقبل على إطلاقه ولا يرفض على إطلاقه، فإن كان حقا خالصا فهو ضالة المؤمن، وإن لم يكن فيؤخذ منه ما يوافق المقاصد الإسلامية.

والأدب الإسلامي لا يمارس الفوقية ولا البديل، ومن ثم فإنه لا يجد غضاضة في التفاعل مع أي منتج فكري أو أدبي أو مدني.

والذين يتصورون الاستبداد والانغلاق لا يفهمون منهج الأدب الإسلامي، ولا ينصفونه، وإشكالية الأدب الإسلامي مع مخالفيه تكمن في اختلاف المفاهيم، إذ الأدب الإسلامي مشروع تكاملي مع المناهج الأدبية العربية والغربية

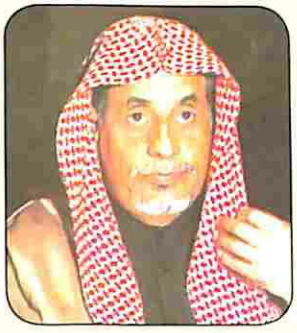

د . حسن الهويمل

■ **إشكالية الأدب الإسلامي مع مخالفيه تكمن في اختلاف المفاهيم، إذ الأدب الإسلامي مشروع تكاملي مع المناهج الأدبية العربية والغربية كافة، غير أنه يتميز عنها بأنه ينطلق من الإسلام.**

كافة، غير أنه وبطبيعته يتميز عنها بأنه ينطلق من الإسلام، وللإسلام رؤيته المتميزة للكون والحياة، وإنه لذلك لا يجد بدا من فحص كل طارئ، والنظر في مدى مواءمته وملاءمته للمقاصد الإسلامية، ومتى وجد الأدب الإسلامي أن المستجد من المذاهب لا يخدم القيم والثوابت والمسلمات فإنه يصرف النظر عنها، ولكنه لا يصادر حقها في الوجود، إذ إن مبدأ التعايش والتفاعل قائم، ولهذا فكل جديد سواء أكان من الغرب أم من الشرق لا يرفض على إطلاقه ولا يقبل على إطلاقه، وإنما ينظر في مدى استجابته للأدب من حيث هو تمثيل للحضارة الإسلامية، فما وجده مجديا أخذ به بوصفه ضالته، وما لم يكن مجديا حال دون نفاذه.

ثم إن تلك قضية مسلمة وهي أن الحضارة - أي حضارة - لا يمكن أن تكون منغلقة بحيث لا تستوعب ما هو متمشٍ مع ثوابتها ومسلماتها.

واستقبال الناقد الإسلامي للمستجدات مرتبط بمحققات الحضارة.

ومثلما أن المناهج والمذاهب الغربية جاءت لتحقق حضارة الغرب فإن من حق الفكر الإسلامي وآدابه أن يسعيا جهدهما لتحقيق حضارة الانتماء.

والشيء المؤكد أن المذاهب والمناهج الغربية مرتبطة بالإنسان، وهذا الارتباط يخول الناقد الإسلامي حق المساءلة والانتقاء وعدم الذوبان في كل طارئ.

وحوار الحضارات قائم، والاختلاف قائم، والرفض والقبول قائمان، وليس في شيء من ذلك بأس متى استطاع الناقد الإسلامي أن يعيش حضورا فاعلا منتجا مستفيدا من المنجز الإنساني بالقدر الذي يخدم مبادئه وأهدافه، ومن تذمر من الاختلاف أو تحفظ على التساؤل فإن ذلك مؤذن بمسخ الشخصية واضمحلال هويتها.

وأوجز د. محمد بنعزوز أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض رؤيته للتعامل مع المذاهب الأدبية الغربية، في الخصوصية الذاتية والخصائص المشتركة، فقال:

إن هذه المذاهب الأدبية الغربية وُلدت في بيئة غير بيئتنا ، وهي تمثل تلك البيئة من الناحية الفكرية والثقافية والأدبية أحسن تمثيل، وتعبّر عن موقف أصحابها من جملة من القضايا التي واكبت تطورهم الأدبي . وعلى الرغم من الصفة الأدبية التي مُنحت لهذه المذاهب ، فإنها لا تخلو من خلفية فكرية وحمولة دلالية تتضمن رؤيتها للحياة والإنسان التي تؤطِّر إبداعات أدبائها وتوجههم الوجهة التي تراها أليق وأجدر بالمرحلة التاريخية التي وُجدت فيها . ومن ثمّ فهي تتسم

د . محمد بن عزوز

■ الغرب يتعامل مع معطياتنا الحضارية بما يرضيهم، وعلينا أن نتعامل مع معطياتهم الحضارية بما يفيدنا، ولا نقع في التقليد والاتباع.

بخصوصيتها الحضارية المرتبطة بمرجعيتها الفكرية والفلسفية والتاريخية . ومادامت هذه المذاهب جزءا من خصوصية البيئة التي أنتجتها فإن محاولة صبغها بصبغة عالمية لا يعدو أن يكون ضربا من التبعية والتقليد ، الذي قد يرفضه أصحابه، فما بال المفتونين بكل ما هو غربي لا يعون هذه الحقيقة !؟

توجد نقطتان بارزتان في المجال الحضاري وهما: الخصوصيات الذاتية، والخصائص المشتركة.

فالخصائص المشتركة نتفاعل فيها مع غيرنا، ونأخذ منه ونعطيه، ولا حرج في ذلك.

فالحضارة نفسها لا تعدو أن تكون ثمرة من ثمار التفاعل الإيجابي بين الإنسان والكون والحياة .

أما الخصوصيات الذاتية المرتبطة بعقائد الغربيين وفلسفاتهم ومذاهبهم وتوجهاتهم وما ينتج عنها من ألوان التعبير فلسنا ملزمين بها ، وهم غير ملزمين كذلك بخصوصياتنا الذاتية المرتبطة بالإسلام وما انبثق عنه من فكر وأدب . وهذا سلوكهم معنا على مرّ التاريخ . فهم يتعاملون مع معطياتنا الحضارية بما يرضيهم ، وعلينا أن نتعامل مع معطياتهم الحضارية بما يفيدنا، ولا نقع في التقليد والاتباع.

وأوضح د. عبدالباسط بدر أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقا، جوانب من الآثار الإيجابية والسلبية في الدراسات الأدبية والنقدية، وكاشفا عن عدد من الحقائق لا بد من وعيها للارتقاء بأدبنا الإسلامي، فقال:

حمل العصر الحديث إلى أدبنا مستجدات كثيرة ظهرت آثارها في شكله ومضمونه، وكان بعضها إيجابياً أثراه بفنون لم يعرفها من قبل، كفنّ المسرحية وفنّ الرواية، وبعضها الآخر سلبياً يملؤه بمضامين مضادة لعقائدنا وتقاليدنا، ويسعى لقطعه عن جذوره بحجج وأعذار شتى، وتحويله إلى تقليد مشوّه لآداب نبتت في غير بيئاتنا وحملت طوابع تلك البيئات وثقافتها.

وامتدت الآثار الإيجابية و السلبية إلى دراسات الأدب ونقده، وكانت نتائجها فيها مماثلة لنتائجها في الأدب، فمن إيجابياتها عطاءات لا تنكر، كتأريخ الأدب بمناهج متعددة، والتحليل الفني الشامل للنص، والتنظير الذي يرصد ظواهر الأدب واتجاهاته، فهذه الأنماط من الدراسات لم تكن معروفة - على هذا النحو من التفصيل والشمول - لدى نقادنا القدماء، لا لقصور ثقافتهم أو ضعف مناهجهم، بل لأن العصور التي وجدوا فيها لم تكن قد وصلت إلى هذه المناهج والثقافات، سواء في عالمنا العربي والإسلامي أو في العالم الغربي، وقد يجد الدارسون في تراثنا النقدي عبارة لناقد أو كلمات لمتذوق تماثل أو تقارب بعض ما يرد في الدراسات النقدية الحديثة ويدعي أنها سبق معرفي، وبذور لما وصل إليه المحدثون،

وهـذا تمحل لا يقنع أحـداً بأنه أصول للدراسات الأدبية والتنظير النقدي الحديث.

وأمـا النتائج السلبية فتتمثل في مـغـالاة بعض الـدارسـين والمنظرين المحدثين في الأخذ من النقد والتنظير الغربي إلى درجة تطبيق مناهج بأكملها على أدبنا القديم والحديث، بدءاً بالمنهج النفسي ووصولاً إلى المناهج التي تظللت بشعار الحداثة كالبنيوية والتفكيكية والتشريحية...إلخ، ولم يعبؤوا بارتباطات هذه المناهج بأصولها الفلسفية التي أفرزتها المدنية الغربية وحَمّلتها طفراتها وكبواتها، وقد توهم هـؤلاء بأن المناهج وسائط ومقاييس محضة يمكن تجريدها من تلك الأصول، وتطبيقها - حذو القُذَّة بالقُذَّة - على تراثنا الأدبـي وإبداعات أدبائنا المعاصرين، وبذلوا في سبيل ذلك جهوداً مضنية، ولكنهم لم يصلوا إلى نتائج مقنعة، اللهم إلا تشويش شريحة من المثقفين، وإثارة الحيرة والبلبلة في ساحاتنا الثقافية.

لقد كشفت المستجدات الطارئة على أدبنا الحديث - بإيجابياتها وسلبياتها - حقائق ينبغي أن نعيها بعمق، وأن نحسن التعامل معها كي يمضي أدبنا في مدارج التطور والارتـقـاء، أجملها في المحاور التالية:

أولاً: إن الأدب - بفنونه المتعددة - ظاهرة مهمة في حياتنا، له وظائفه الجمالية والثقافية المتنامية في عصرنا الحديث.

ثانياً: إن الأدب هو المستودع الشعوري للأمة يحمل خصائصها وثقافتها وآثار تراثها.

ثالثاً: إن الأدب إبداع إنساني عام، له قدرة فائقة على الانتقال بين الأمم على اختلاف لغاتها وأجناسها، والتأثير في الآخرين بما يحمله من خصائص وصفات، والتأثر بما لديهم من خصائص وصفات أيضاً.

رابعاً: لا يمكن أن نغلق أبوابنا في وجوه آداب الآخرين، وليس من الحكمة أن نفعل ذلك ولو قدرنا عليه.

خامساً: إن النقد والتنظير مواكبان للأدب منذ القدم، وقد اشتدّ أمرهما في عصرنا الحديث وأصبحا ركناً ثقافياً مهمّاً، تُقَوّم فيه الأعمال الأدبية وتستخلص خصائصها، وتُصنّف ضمن اتجاهات ومذاهب تترسخ يوماً بعد يوم.

سادساً: إن معظم نقادنا ومنظّرينا ضيوف على موائد الآخرين في تنظير الاتجاهات

د . عبدالباسط بدر

■ **لا يمكن أن نغلق أبوابنا في وجوه آداب الآخرين، وليس من الحكمة أن نفعل ذلك ولو قدرنا عليه.**

■ **إن معظم نقادنا ومنظّرينا ضيوف على موائد الآخرين في تنظير الاتجاهات والمذاهب الأدبية، يستخدمون مصطلحاتها ومقاييسها في تصنيف أدبنا وأدبائنا، بأسمائها الأصلية أو بأسمائها المترجمة.**

■ **إننا في حاجة ماسة لصياغة نظريتنا الأدبية والنقدية الإسلامية بمنهجية عالية، وتدعيمها بالحجج والبراهين القاطعة، وطرحها في الساحة؛ لتمثل رؤيتنا الأدبية وفلسفتنا النقدية.**

والمذاهب الأدبية، يستخدمون مصطلحاتها ومقاييسها في تصنيف أدبنا وأدبائنا، سواء بأسمائها الأصلية: كالكلاسيكية والرومانسية والسيريالية... أو بأسمائها المترجمة: كالواقعية والتشكيلية والتفكيكية، وحتى الحداثة نفسها ترجمة حرفية لمصطلحها الأجنبي.

سابعاً: إننا في حاجة ماسة لتنظير أصيل يستنبط القواعد والمقاييس، ويضع المصطلحات، ويسمي الاتجاهات والمذاهب من سلتنا الثقافية الواسعة التي تحمل فيما تحمله أدبنا ونقدنا التراثي والحديث، والقيم الجمالية التي تشكل ذائقتنا العربية، وخلفياتها الفكرية والعقدية.

ثامناً: إن التنظير الذي ننتظره ينبغي أن يجيب عن التساؤلات التي تحتشد في الصدور، ويحلّ الإشكالات القائمة: كالتعامل مع الأجناس الأدبية الجديدة والمستجدة لاحقاً كالنثيرة (أو ما يسميها بعض النقاد: قصيدة النثر) والقصة القصيرة جداً، والتمثيلية المسموعة والمرئية....

تاسعاً: إن التنظير للأدب ينبغي أن يكون شمولياً يأخذ في حسابه جميع فنون الأدب ولا يقتصر على فنّ واحد بعينه، فمن الشائع من الكتابات النقدية في عصرنا الحاضر تطبيق مقاييس الشعر وحده على مصطلح الأدب بحيث تنسحب آلياً في ذهن المتلقي على فنونه الأخرى، وهذه مغالطة منهجية كبيرة أو خطأ فادح، فطبيعة الرواية تختلف كلياً عن طبيعة الشعر، وخاصة الشعر الغنائي الذي يندرج فيه القسم الأعظم من شعرنا القديم والحديث، وعندما يتترس النقاد بالوظيفة الجمالية المحضة للشعر ليرفضوا دعوات التنظير أو نظرية الأدب الإسلامي يخالفون الحقيقة أو يقومون بمغالطة مقصودة؛ لأن من طبيعة الرواية أن يكون لها (مضمون) وأن تكون لها خلفيات فكرية أو فلسفية تشكل رسالتها إلى المتلقي أياً كانت طبيعة هذه الرسالة واتجاهاتها، والأمر نفسه في المسرحية ومشتقاتها التقنية الحديثة: التمثيلية المسموعة والمرئية... بخلاف الشعر الغنائي الذي يمكن أن يصدر عن نبضات وجدانية خالصة، وقد يؤذيه ظهور الفكر والفلسفة أو (القضية) فيه، خاصة عندما يكون الشاعر غير قادر على مزج (القضية) بوجدانه وإخراجها في سيال شعوري مؤثر، ولكل فنّ أدبي خصائصه التي تميزه عن سواه من فنون الأدب مهما كانت العوامل المشتركة بينهما كبيرة.

عاشراً: إننا في عصر تتقاسم النظريات الأدبية والنقدية فيه الساحة الأدبية، وإننا في حاجة ماسة لصياغة نظريتنا الأدبية والنقدية الإسلامية بمنهجية عالية، وتدعيمها بالحجج والبراهين القاطعة، وطرحها في الساحة؛ لتمثل رؤيتنا الأدبية وفلسفتنا النقدية ■